ما أروع هذا الصدق الجارح والمواجهة الحادة والجرأة النادرة في التجربة الفنية والخبرة النفسية للأديب والكاتب حين يندمج مع ذاته ويقترب من أفكاره ويتناغم مع واقعه حتى يشغف جمهوره وأيضًا ما أبدع الأديب حين يكون متوقداً متوهجًا بمشروعه الأدبي الذي يعتبره انطلاقة إنسانية وميلاد روحي لأجيال عديدة من الأدباء نحو خلق روح نقدية واسكتشاف الواقع بنظرة جديدة وإعلاء قضية الإنسان أينما كان على رأس القضايا أولها وآخرها هذا هو بعض من الحلم الثقافي الذي إنبنت عناصره على حس سياسي وثقافي واجتماعي شق به «**إدريس**» مكانته الرفيعة بين رواد الثقافة المصرية والذي هزم به «**إدريس**» أيضًا بعض قيم التخلف انتصاراً للعقلانية وسحقًا لأوهام الذات المصرية والعربية على حد سواء. نقول إن يوسف إدريس آمن في حلمه الثقافي منذ بداياته إيمانًا مطلقًا بالإنسان ككائن راق وبإنسانيته التي هي جوهره ورأى أن ما يلتصق به من خصائص ليست إلا وسائل وأدوات من أجل اكتمال الظاهرة الإنسانية التي شغلت المفكرين والفلاسفة منذ القدم وستظل كذلك لآماد بعيدة وكأنه يؤكد أن أدبه كله إذا مثل حضوراً قويًا على الساحة فلن يكون ذلك إلا من خلال التأكيد على قضية واحدة على الإطلاق هي الإنسان وبالطبع هذا الإنسان هو إنسان القرن العشرين أسعد وأشقى إنسان في التاريخ بكل ظروفه المتفردة وصراعاته الحادة وتناقضاته الصارخة وكل ما يحيط به من أحداث ومتغيرات وثوابت أيضًا !!

وبالتالي كانت مهمة إدريس تتبلور في استخلاص القضية وطرحها في شكلها الفني والفكري من منظوره الخاص وهي مهمة صعبة بمعان كثيرة